تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام
تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى عام 845 من الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ، فهذا كتاب جم الفوائد بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة .. سميته ((تجريد التوحيد المفيد)) ، والله أسأل العون على العمل بمنه .

اعلم أن الله سبحانه رب كل شيء ومالكه وإلههُ :

في معنى الرب :

فالرب مصدر ربُّ يرَبُّ ربّاً فهو رابٌّ : فمعنى قوله تعالى } **رَبِّ الْعَالَمِينَ** { رابِّ العالمين ، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم من خَلقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا .

في معنى الإلهية :

والإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ، ونحو هذه الأشياء . فإن التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط ، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى ، وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلقِ وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتَّأَلُّهَ من عباده له سبحانه ، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل .

بيان أن للتوحيد قشرين

للتوحيد قشران :

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى .. غير أن التوحيد له قشران : **القشر الأول :** أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ، ويسمى هذا القول توحيداً ، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى ، وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سره جهره .

القشر الثاني :

أن لايكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل القلب على اعتقاده ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس .

لباب التوحيد وما يخرج عنه :

ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ، ثم يقطع الالتفاف إلى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره . ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى .. فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى } **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** {" الجاثية :23 " .

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده ، وإنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ، ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإن من يرى الكل من الله يسخط على غيره أو يأمل سواه . وهذا التوحيد مقام الصديقين .

توحيد الربوبية لابد معه من توحيد الإلهية :

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون ، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض ، والقائم بمصالح العالم كله ، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله } **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** { " البقرة :165". فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى } **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**{ "الأنعام :1 ".

وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية وأنه تعالى حقيق بإفراده وليّاً وحَكَماً وربّاً . فقال تعالى } **قل أغير الله أتخذ ولياً**{ "الأنعام : 14 " وقال } **أفغير الله أبتغي حَكَماً** {"الأنعام : 114 " وقال :} **قل آغير الله أبغي رباً**{" الإنعام : 164" .

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

من عدل بالله غيره فقد أشركَ :

فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا رب إلا الله الذي من عَدَلَ به غيره فقد أشرك في ألوهيتهِ، ولو وحد ربوبيته ، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق ، مؤمنها وكافرها ، وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله ، ولو قال لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين ، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد . ولهذا كان أصل ((الله)) الإله ، كما هو قول سيبَوَيه ، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه ، إلا من شذ منهم .

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله ، وأنه المحبوب لاجتماع صفات االكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وهو الذي ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته ، كما قال الله تعالى } **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يشركون ، أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون** {"النمل :59و60". وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها } **أله مع الله** {فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك في الربوبية كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية . ويتركهم سدىً معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ، ولا يثابون ولا يعاقبون ، فإن الملك هو الآمر الناهي المعطى المانع الضار النافع المثيب المعاقب .

الرب والملك والإله :

ولذلك ، جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسرة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة ، الرب والملك والإله ، فإنه لما قال : } **قل أعوذ رب الناس** { كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم ، فبقي أن يقال ، لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم ؟ : قيل نعم ، فجاء }**ملك الناس**{ فأثبت الخلق والأمر . }أله له الخلق والأمر {"الأعراف :54" . فلما قيل ذلك ، قيل فإذا كان ربا موجداً وملكاَ مكلفاً ، فهل يُحَبُّ وَيُرَغَّبُ إليهِ،ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر . قيل } **إله الناس{** ، أي مألوهم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا له ، فجاءت الإلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها .

أدلـة الجمهـور فـي سـحر النـبي وأدلـة مخالفيه

أعظمُ عَوذَةٍ في القرآن :

وهاتان السورتان أعظم عَوذَةٍ في القرآن ، وجاءت الاستعاذة بهما فـي وقت الحاجة إلى ذلك ، وحين سُحر النبي **وخُيّلَ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ، وأقام على** ذلك أربعين يوما كما في الصحيح .

وكانت عقدة السحر إحدى عشرة عقدة فـأنزل اللـه المعـوذتين إحـدى عشرة آية ، فـانحلت بكـل آيـة عقـدة وتعلقـت الاسـتعاذة فـي أوائـل القـرآن باسمه الإله ، وهو المعبود وحده لاجتماع صـفات الكمـال فيـه ومناجـاة العبـد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب إليـه فـي أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربـه ، ثـم استحب التعليق باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيهـا ((أعـوذ بـالله من الشيطان الرجيم)) لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء .

ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلا به ، فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن ، فالجلالة تعرف غيرها ، وغيرها لا يعرفها .

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً آخر وإن لم يقولوا إنه إله مكافئ له وهو المشركون ومن ضاهاهم من القدرية .

وربـوبيته سـبحانه للعـالم الربوبيـة الكاملـة المطلقـة الشـاملة تبطـل أقوالهم ، لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصـفات والحركـات والأفعال .

وحقيقة قول القدرية المجوسية أنه تعالى ليس ربا لأفعـال الحيـوان ولا تتناولها ربوبيته إذ كيف يتناول ما لايدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه .

بيان أن شرك الأمم كله نوعان

بيان للشرك في العبادة :

وشرك الأمم كله نوعان : شـرك فـي الإلهيـة ، وشـرك فـي الربوبيـة .. فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شـرك عبـاد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ الصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا }**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**{"الزمر: مـن الآيـة 3" ويشفعوا لنا عنـده ، وينالنـا بسـبب قربهـم مـن اللـه وكرامتـه لهـم قـرب وكرامة ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفـى لمـن يخـدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته . والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنـص علـى أنهـم أعـداء اللـه تعـالى ، وجميـع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلـك مـن أولهـم إلـى آخرهـم ، ومـا

أهلك الله تعالى من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجلـه : وأصـله الشـرك في محبة الله تعالى .

قـال تعـالى } **يُحِبُّـونَهُمْ كَحُـبِّ اللَّـهِ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا أَشَـدُّ حُبّـاً لِلَّه**{"البقرة: من الآية 165" ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحب مـع اللـه شيئا غيره كما يحبه ، فقد اتخذ ندًّا من دونه ، وهذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله ، وهذا هو العدل المذكور في قـوله تعـالى }**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**{"الأنعام: من الآية 1" ، والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيـره فـي الحـب والعبادة ، وكذلك قول المشركين في النار لأصـنامهم }**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّـا لَفِـي ضَلالٍ مُبِينٍ،إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**{ " الشعراء 97و98" ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم ، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هـو ربهـم وخـالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده وأنه رب السماوات السبع ورب العـرش العظيـم ، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

التسوية في المحبة والعبادة شرك لا يغفر :

وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه ، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده ، وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله ، فإذا كان المسوّى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا . فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك .

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حُجَج أهله ، وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله .. بل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده ، وكذلك كل ما أمر به ، فَخَلْقُهُ وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهدٌ بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن كل معبود سواه باطل ، وأنه هو الحق المبين تقدس وتعالى .

وواعجبا كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكه	وتسكينه أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

الشرك في الربوبية أخبث شرك :

والنوع الثاني من الشرك ، الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربَّين ، أحدهما خالق الخير ، ويقولون له بلسان الفارسية ((يزدان)) ، والآخر خالق الشر ويقول له المجوس بلسانهم ((أهرمن)) . وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس ، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال ، فهو رب كل ما تحته ومدبره ، وهذا أشر من عباد الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك في العالم ، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى مالم يتضمنه شرك أمة من الأمم . وشرك القدرية مختصر من هذا ، وباب يدخل منه إليه . ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس ، كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ، وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعا أنهم مجوس هذه الأمة ، وكثيرا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر ، والقرآن الكريم ، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل الإشراك ، كقوله تعالى }**إِيَّاكَ نَعْبُد** { فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية ، وقوله } **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**{ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية .

تفسير لتجريد التوحيد في الأفعال والألفاظ والإرادات :

فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات ، فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى ، والطواف بغير بيته المحرم ،

وحلق الرأس عبودية وخضـوعاً لغيـره ، وتقبيـل الأحجـار غيـر الحجـر الأسـود الذي هو يمينه تعالى في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها .

النهي عن اتخاذ القبور مساجد

وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها .. فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله تعالى ، فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى }**إِيَّاكَ نَعْبُد**{ وفي الصحيح عنه

السجود لغير الله

وأما السجود لغير الله فقد قال

تقسيم الشرك إلى تعطيل وغيره وأقسامه

الشرك في الإرادات والنيات :

وأما الشرك في الإرادات والنيات ، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه ، فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله } **إِيَّاكَ نَعْبُد** { فإن }**إِيَّاكَ نَعْبُد** { هي الحنيفية ملة ابراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام }وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ{ "آل عمران:85 " فاستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تحقق معنى كلمة الإلهية . فإن قيل المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك .

فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وإنما قصد تعظيمه وقال { **إِيَّاكَ نَعْبُد** { ، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وَتَدخُلَ بي عليه ، فهو الغاية ، وهذه وسائل ، فَلِمَ كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ، ومخلداً في النار وموجباً لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع ، والعقل يمنع أن تأتيَ به شريعة من الشرائع ؟ ومالسر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى } إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ{"النساء: من الآية 48".

قلنا الشرك شركان .. شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته . وأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن ، وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى .

توضيح للشرك في الذات والأسماء والصفات والأفعال :

أما الشرك الأول فهو نوعان : أحدهما شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون في قوله{ **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** {"الشعراء: من الآية 23" وقال }**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَاب ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً** { "غافر 36و 37" والشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ، ولكنه مُعَطِّله حق التوحد .

التعطيل أصل الشرك ومفّسرٌ له :

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : تعطيل المصنوع عن صانعه .

الثاني : تعطيل الصانع عن كماله الثابت له .

الثالث : تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ...

ومن هذا شرك أهل الوحدة ومنه شرك الملاحدة القائلين بِقَدَم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ، ويسمونها العقول والنفوس ، ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

توضيح لشرك من جعل مع الله إلها آخر :

النوع الثاني شرك التمثيل ، وهو شرك من جعل معه إلها آخر ، كالنصارى في المسيح واليهود في عزير ، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة . والقدرية المجوسية مختصر منه ، وهؤلاء أكثر مشركي العالم ، وهم طوائف جمة منهم من يعبد أجزاء سماوية ، ومنهم من يعبد أجزاء أرضية ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة ،

ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول [illegible]

من خصائص الإلهية الكمال المطلق

ومن خصائص الإلهية :

واعلم خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلا وشرعاً وفطرة ، فمن جعل ذلك لغيره ، فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم ، أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً ، ومن خصائص الإلهية ، العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل ، فمن أعطاهما لغيره ، فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى في خالص حقه ، وقبح هذا مستقر في العقول والفطر ، لكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً – كما رَوى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه – عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً ، ومن خصائص الإلهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه به ، ومنها التواكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به , ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به ، ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به . ومنها الذبح له ، فمن ذبح لغيره فقد شبهه به . ومنها حلق الرأس .. إلى غير ذلك .

من تشبه بالله قصمه الله :

هذا في جانب التشبيه ، وأنا في جانب التشبه ، فمن تعاظم وتكبر ودعا إلى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقِهِ وفي الصحيح عنه [illegible]

عدم جواز الخضوع والتأله

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه ، كما قررناه لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له كما قال تعالى }**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ** {"الروم: من الآية 28" أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه في شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي ، فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ؛ وبالجملة فما قدره حق قدره من عبد معه من ظن أن يوصل إليه ، قال تعالى }**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ**

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً{ "الحج: من الآية 73" الآية .. إلى أن قال } **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ{** "الحج: 74" وقال تعالى }**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ{** "الزمر:67".

فما قَدَرَ القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل .

أصل ضلال الطوائف الضالة :

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين : **أحدهما** الظن بالله ظن السوء ، **والثاني** لم يقدروا الرب حق قدره ، فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً بل ترك الحلق سدىً وخلقهم عبثاً ، ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهما عن خلقه وقدرته ، ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين . وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين ، ولا قدره حق قدره ، من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقا وحقيقة قعله ، ولم يجعل له فعلا اختياريا ، بل أفعاله مفعولات منفصله عنه . ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً أو جعله يحل في مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود . ولا قدره حق قدره من قال إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة . وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين : إنه أرسل ملكا ظالما فادعى النبوة وكذب على الله ، ومكث زمناً طويلاً يقول أمرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ، ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل الرافضة ، تجد القولين سواء ، ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

عابد غير الله إنما يعبد الشيطان :

وبالجملة ، فهذا باب واسع ، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطاناً . قال تعالى } **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ{**"يّـس: من الآية 60" . فما عبد أحدٌ أحداً من بني آدم كائناً من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان . ولهذا قال تعالى} **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْأِنْسِ**{"الأنعام: من الآية

128" أي من إغوائهم وإضلالهم{ **وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**)"الأنعام: من الآية 128" فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يُغفر بغير التوبة منه ، وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم ، وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرد النهي عنه فقط ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة إلهٍ غيره كما يستحيل على ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

تقسيم العبادة من حيث الإستعانة

أقسام الناس في عبادة الله :

وأعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام : أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ، ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي ﷺ

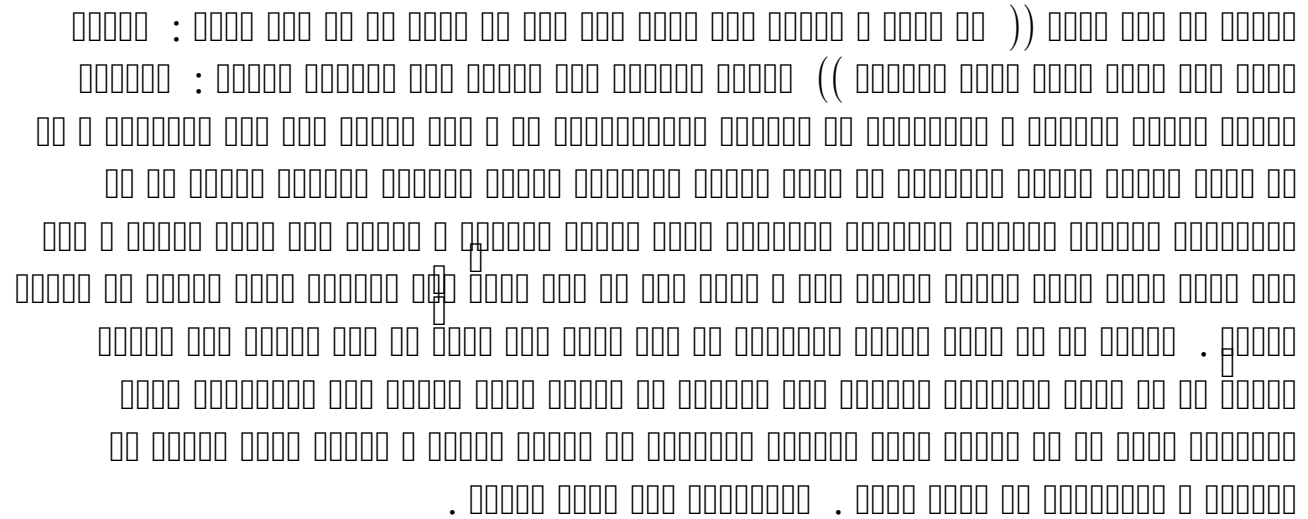

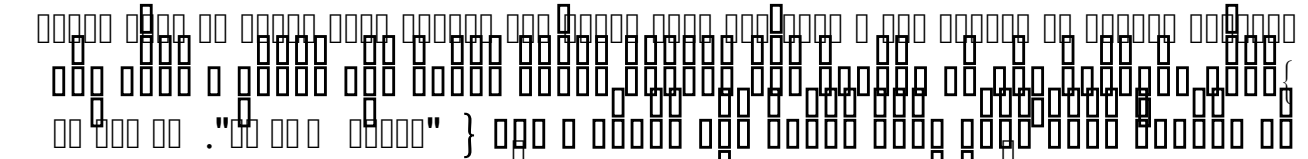

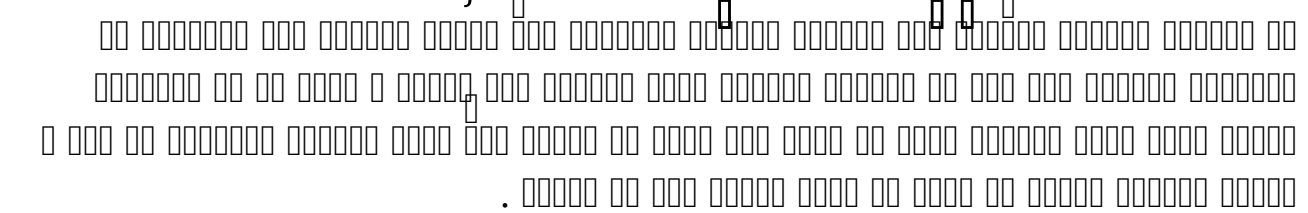

[illegible]

بيان معنى الاستعانة

تفسير لحقيقة الاستعانة عملا :

فإن قيل ما حقيقة الإستعانة عملا ؟ قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته ، فلو دهمه ما عسى أن يدهَمَهُ إلى الآفات لم يلتجئ إلى غيرها . فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة} **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**{"الطلاق 2و 3) أي كافيه .

القسم الرابع : من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكَّل عليه في حظوظه فأسعفه بها سواء كانت أموالاً أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أن نحو ذلك ، وهذا لا عاقبة له ، فذلك حظه من دنياه وآخرته .

الإخلاص والاتباع بهما النجاة :

واعلم أن العبد لا يكون متحققا بعبادة الله تعالى إلا بأصلين : **أحدهما** متابعة الرسول ﷺ .

:

[illegible]:

[illegible] [illegible] [illegible] [

[illegible]

أفضل العبادة الاشتغال في كل وقت بما يناسبه

أهل التعبد المطلق ومنهاجهم المتكامل :

الصنف الرابع : قالوا : أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار ، بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به . والأفضل في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء ، والأفضل وقت الآذان ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن . والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بعد . والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن . والأفضل في السفر مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة .

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك . والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الأجتهاد في التضرع والدعاء والذكر . والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد الغير المتعين . والأفضل في العشرة الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الإعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال لهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء . والأفضل في العشرة عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء . والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك . والأفضل وقت نزول النوازل وإيذاء الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم ، والمؤمن الذي لا يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم

أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم . وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه . فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلله ، فخلطتهم خير من اعتزالهم ، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق ، والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد ، فمتى خرج أحدهم عن الفرع تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى : إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك مع الذاكرين ، والمتصدقين وأرباب الجمعية وعطوف القلب على الله ، فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق .

مثال ودليل على سلامة وصحة منهج أهل التعبد المطلق :

واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي

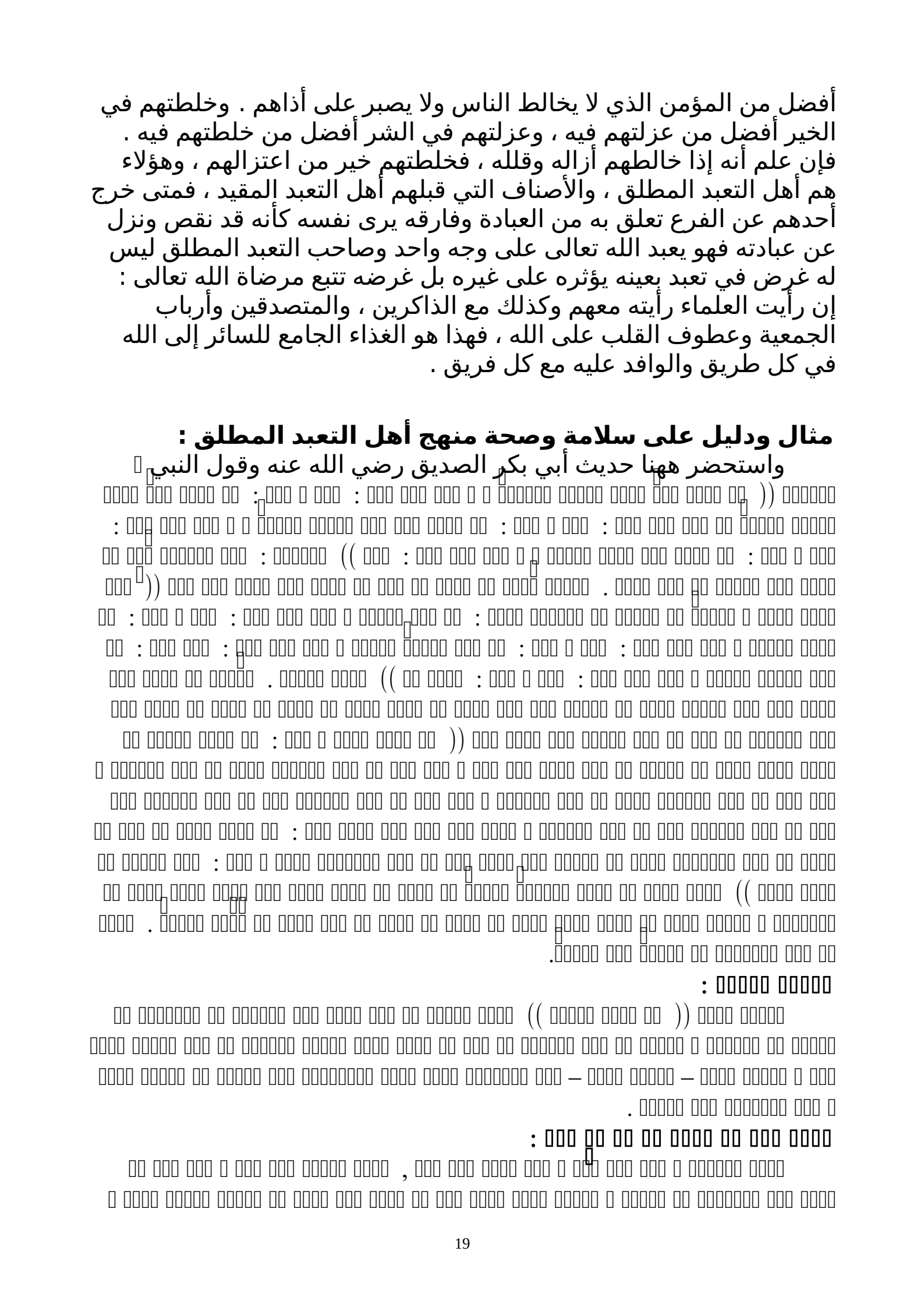

:

.

:

[illegible]

للناس في منفعة العبادة طرق أربع

المذاهب في بيان حكمة العبادة وعلتها :

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقا أربعة وهم في تلك أربعة أصناف : **الصنف الأول :**نفاة الحِكَم والتعليل الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة ، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن تكون سببا لسعادة في معاش ولا معاد ولا سببا لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة ، كما قالوا في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ، ولا لحكمة تعود إليه منه ، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سبب للإحراق ، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد ، وهكذا الأمر عندهم سواء ، لا فرق بين الخلق والأمر ، لا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور ، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور به صفة تقتضي حسنه ، ولا بالمنهي عنه صفة تقتضي قبحه .

ذم هذا المذهب [وهم الجبرية]:

ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة ، وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف ، أي كلفوا بها ولو سمي مدعي محبة ملك من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يعد محبا له ، وأول من صدرت عنه هذه المقالة " الجعد بن درهم " .

أول بدعة ظهرت في الإسلام ومذهب القدرية والمعتزلة

الصنف الثاني : القدرية . النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه .. بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته ، فعندهم أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم ، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره ، قالوا ، ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عِوضاً كقوله} **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**{"لأعراف: من الآية 43" }**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**{"النمل: من الآية 90" } **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**{"النحل: من الآية 32" } **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**{"الزمر: من الآية 10" وفي الصحيح ((إنما هي أعمالكم أحصيها عليك ثم أوفيكم إياها)) قالوا : وقد سماها جزاءً وأجراً وثواباً لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله ، أي يرجع إليه . قالوا : وبدل عليه الموازنة ،

فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى ، وهاتان الطائفتان متقابلتان .. فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة ، وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته ، وكلاهما سواء بالنسبة إليه ، والكل راجع إلى محض المشيئة .

والقدرية أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل ، ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء ألبته ، والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله ، وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى ، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً من أعمالهم .

وتأمل قوله تعالى **}وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ{** "الزخرف:72" مع قوله ﷺ (([illegible])) [illegible]

[illegible]

[illegible] :

[illegible] : [illegible]

[illegible] : **[illegible]** [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

, [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] , [illegible] , [illegible] : [illegible] [illegible] [illegible]
{[illegible] [illegible] } : [illegible] [illegible] [illegible] , [illegible] [illegible] , [illegible] [illegible] [illegible] , [illegible] [illegible]
. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] } : [illegible] , [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] {[illegible] [illegible] } : [illegible]
[illegible] { [illegible] [illegible] [illegible] , [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] .
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [